

## كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النص

نائب رئيس المجمع

ورئيس قسم الحضارة في هيئة الموسوعة العربية

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي  
سرعان ما غادرتنا يا أبا وجد، غادرتنا على غير توقع ولا ترقب  
ونحن في أمس الحاجة إليك، وكانت وفاتك مفاجأة مذهلة لنا، لم نصدق  
النبأ الفاجع حين نقل إلينا، فقد كنت بيننا قبل وفاتك بأيام، نتحدث  
وتسامر ونعالج أمور الموسوعة بهمة ونشاط، دأبك في كل يوم، ولم  
يخطر لنا في بال أنك ستفارقنا بعد أيام، وسيغيب عنا وجهك الباسم  
المتدفق عزيمة ونشاطاً، فلم غادرتنا على هذا النحو المفاجئ السريع،  
أملت جوارنا فآثرت عليه جوار ربك الأعلى، وآثرت الباقية على الفانية.

نحن نعلم أن الموت قدر كل كائن حي في هذه الدار الفانية،  
ولكننا كلما بلغتنا وفاة عزيز علينا يملكننا العجب ونتساءل: كيف، ولماذا،  
ونحن نردد ما قاله عبد الله بن الزبير حين بلغه مصرع أخيه مصعب: «إن  
لفراق الحميم لذةً ولوعةً.. يجدها حميمه عند المصيبة» فهو الأجل  
المحتوم وسنة الوجود التي لا محيد عنها ولا مبدل لها: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ

لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» صدق الله العظيم، فلا نملك إلا الإذعان لمشيئة الله وقدره.

عرفت مسعوداً طالباً في قسم اللغة العربية، وأشهد أنه كان طالباً مثالياً في جدّه وحسن استيعابه لما يلقي عليه، وعنايته بمتابعة البحث والمطالعة والزجوع إلى كتب التراث وإعداد البحوث المتصلة بمواد الدراسة، وقد لفت نظري بنجاحته وذكائه، وكان طُلُوعَهُ نَهْمًا إلى التزوّد بالمعرفة والاطلاع العميق الوافي على كل ما يتصل بموادّ دراسته.

ثم دارت عجلة الزمان فلقيته بعد سنوات وقد تخرج، وكان من المتفوقين في دراسته العليا ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه بدرجة الامتياز ثم غدا أستاذاً لامعاً لعلوم العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق وعضواً في اتحاد الكتاب العرب، ثم وقع عليه الاختيار ليتبوأ منصب رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. وانصرف إلى البحث والتأليف فقدم للمكتبة العربية مؤلفات كثيرة يتجلى فيها العمق والدقة وتحريّ الحقائق العلمية فأغنى بها الدراسات اللغوية والنحوية.

وكان إلى ذلك يوافي الصحف والدوريات بمقالات أدبية شيّقة صيغت بأسلوب تصويري مبدع وأداء رشيق ولغة شاعرية طليّة فارتقت به مؤلفاته ومقالاته إلى منزلة الأدباء المبرزين اللامعين.

وقد أهلته مواهبه وطاقاته العلمية والأدبية الخصبية لتبوؤ منصب المدير العام المساعد، فصدر بتعيينه القرار الجمهوري ذو الرقم ٤٦ والمؤرخ في ٢/١٠/١٩٩٣. ثم صدر القرار الجمهوري ذو الرقم ٣٦

والمؤرخ في ٢٦/٤/١٩٩٧ بتعيينه مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، خلفاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي خطا بالموسوعة خطواتها الأولى.

وقد أنشئت هيئة الموسوعة العربية بموجب المرسوم التشريعي ذي الرقم ٣/ بتاريخ الخامس من شهر كانون الثاني عام واحد وثمانين وتسع مئة وألف، وكان إنشاء هذه الهيئة واجباً قومياً أملت به حاجة الأمة العربية إلى سفر جامع شامل يزود أبناء هذه الأمة بما أبدعته قرائح المفكرين والعلماء والأدباء في الشرق والغرب كما يعرف العالم بحضارة الأمة العربية العريقة وتراثها المجيد. ولم يصدر قبل موسوعتنا موسوعة عربية تحقق هذه الأهداف وإنما كانت محاولات فردية مشكورة ولكنها غير وافية، فكان إنشاء هيئة الموسوعة العربية مبادرة كريمة من السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، وكان إنشاؤها يمثل تحدياً جريئاً للصعاب والمعوقات الحساب التي حالت دون اضطلاع الجامعة العربية بهذه المهمة. فنهضت سورية وحدها بهذا العبء الحسيم، ولم يألُ السيد الرئيس جهداً في توفير كل ما يعين على إصدار الموسوعة على النحو المنشود مادياً ومعنوياً:

كان لقائني الثاني بالفقيد الراحل في هيئة الموسوعة العربية حين اختيار مديراً عاماً لها، وهنا عرفت فيه خصلاً تضاف إلى ما كنت أعرفه منها قبل، عرفت فيه الباحث المدقق والإداري القدير، وقد انكب على عمله في الموسوعة بهمة لا تعرف الكلال، ودأب كلفه الكثير من الجهد والمشقة، فكان من أولي العزم الشديد، لم تنه عن إنجاز مهمته الصعاب

الكثيرة التي اعترضت سبيله فقد بذل في سبيل إنجاز عمله كل ما لديه من طاقات جسمية وعقلية وإدارية، وكان لقائي الثالث بفقيدنا العزيز في مجمع اللغة العربية، فقد اختاره أعضاء المجمع بالإجماع زميلاً لهم، تقديراً لكفايته العلمية ووفرة نتاجه العلمي وحמיד خلقه، وتم ذلك في الجلسة الثانية عشرة من جلسات مجلس المجمع بتاريخ الثامن والعشرين من شهر شباط عام ستة وتسعين وتسع مئة وألف، وصدر المرسوم الجمهوري بتعيينه ذو الرقم ثمانية وأربعين في الثالث عشر من شهر آذار عام سبعة وتسعين وتسعمئة وألف، ثم احتفل المجمع باستقباله مساء الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه. وألقيت يومئذ كلمة في الاحتفاء به.

انصرف الفقيد إلى عمله في هيئة الموسوعة العربية ومجمع اللغة العربية، وخص الموسوعة بأكثر وقته، ووجه عنايته إلى إصدار المجلد الأول منها فتحقق له ذلك بعد عناء وجهد عظيم، وأنجز في عهده إلى ذلك جانب كبير من المجلد الثاني.

وقد جاء المجلد الأول على النحو المنشود في أناقة طباعته وحسن إخراجة وجودة بحوثه. وكان الفقيد حريصاً على قراءة كل كلمة تكب في الموسوعة، وعلى تحري الدقة والصواب في كل ما يرد إلى الموسوعة من بحوث.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي قدم إلينا فيه المجلد الأول، فقد كانت الفرحة تترقق في محياها الباسم، وكانت عيناه تشعان بهريق الانتصار،

وكان سروره بصدور هذا المجلد سرور الوالد بإنجاب وليده البكر وسرور الأم ببقاء وحيدها بعد غياب طويل.

وقد عرف العاملون في هيئة الموسوعة في الفقيد العزيز روحه الجادة وأدبه الجم وحرصه على مشاركة زملائه في كل ما يتصل بأمر الموسوعة، دقيقتها وجليلها، لا يرضى أن يبرم أمراً إلا بعد عرضه على زملائه في مجلس الإدارة، ولا يستبد برأي بدا له فإن سمع من أحد زملائه رأياً يخالف ما بدا له ووجد فيه الصواب لم يتردد في الأخذ به.

وكان في تعامله مع العاملين معه في الموسوعة مثال الإنسان المهذب، يتحلى بالخلق الحميد والرصانة الجادة وسعة الصدر، فما فارقت الابتسامة ثغره في أحلك الأوقات. وأشهد أنني ما رأيته يوماً يفارقه هدوؤه واتزانة وسعة صدره، وما أخرجه النقاش المحتدم حول أمر من الأمور عن طبيعته الهادئة الرزينة.

لقد فقدنا بغياب أبي وجد الصديق الوافي، والعالم المتمسق، والإداري الحاذق، والباحث الجاد، وكان في خلاله هذه واحداً من النخبة المختارة من أبناء هذا البلد.

اخترتمه يد المنون وهو في قمة عطائه وذروة نشاطه العلمي، والكائن البشري مهما يكن حظه من القوة والجلد لا قبل له بمغالبة القدر، والناس في هذه الدنيا بين مفارق ولاحق، ومغادر ومنتظر، والمنية بالمرصاد مهما يظل بالمرء أجله.

يدفن بعضنا بعضاً وتمشي أواخرنا على هام الأوالي  
ونحن لا نملك إلا الإذعان لمشيئة الله التي لا مرد لها، والرضا  
بالقدر الجاري علينا.

نحن بنو الموتى فما بالننا نغاف ما لا بد من شربه  
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هي من كسبه  
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجساد من تربه  
أهداني الفقيد العزيز قبيل رحيله وليده الأخير كتاب «الصوت  
والصدى»، فقد انطفاً الصوت الآن، ولكن صداه المندي بالأرج العطر  
سيبقى حياً في نفوسنا وقلوبنا وأسماعنا.

\* \* \*